نـــــص

مـــكـــان يـــدعـــى بـصـيّـة

خضير فليح الزيدي

(وألان ماذا سيحل بنا من دون برابرة ؟ لقد كانوا نوعا من الحل..)

قسطنطين كافافي

ها نحن على حافة صحراء من حبيبات رمل اصفر وافق مفتوح وريح حارقة وشمس لا تنام وشجيرات الغَرَبْ والحمض المسود واراول من لب التماسيح.. نقف على قطعة دلالة تشير الى بصيّة لبعدها عن غواية المدينة وقربها من نجمة سهيل وتهدج صوت البعير – فاقد القدم – يتلو بأنين قصته على افاعٍ من حِماد شاسع مسود.

كان أولهم وآخرهم يدعى صقر.. لم يمت صقر الظفير ليومنا هذا ..لم يجد الأرض التي اشتهى أن يموت عليها، ما زال كل صباح يحدو بقافلة الإبل رغم إن أولاده الذين مكثوا في المدينة الحجرية الخربة ماتوا في سلسلة الحروب، والذين بقوا على قيد سجلات الأحوال المدنية ما زالوا يتلون هجائية هجينة من لغة البعير كل ليلة موالا مفقوء العين ومخرب الأسس، ويشكون من زيجاتهم وبلوى الخديعة وغواية الشيطان والمدن السحرية والرجال الملائكة وانقطاع الماء عن الصنابير يكملون المشوار بحبة كحبات الرمل الكبيرة ولكنها تعيد للحياة روحها النظرة، إنها حبة الفالليوم المنعشة ..

لصقر الظفير منخران كبيران لهما قدرة تقصي اثر سرب القطا والوصول الى الكنز،منخران يستدل بهما عن المفازات الخطرة بعيدا عن حقول الفطر والألغام، عيناه كعيني القط البري فيَ حفر الباطن في اصطياد كنوز لحمة الصحراء في الكمأ والفقع، أنف كلبه لا يخطئ في حدس موقع فريسته، في المدينة له من الطباع تبدو من الغرابة .. مدينة رمادية من آجر كأنها صناديق الشاي كما يصفها .. فيها الماء اللامع يجري داخل الأنابيب، والطعام يطهى تحت العيون الزرق للطباخات العاملة بالغاز السائل، والماء البلوري بارد في الثلاجات، أولاده اعتادوا أكل الطماطم الزبيرية الحمراء، والبطاطس الشحمية، ويتبرزون في جوف ابيض صقيل وأنيق، ينامون على افرش من الإسفنج الصناعي، ويدخنون السجائر بعقوب حمر، ويسهرون الليل على ما يلقنهم التلفاز من غنج وفوضى، وينامون في الصيف على دوي مبردات الهواء، يستحمون مثل البط كل مساء، يقلمون أظافرهم كالغواني، ينظفون أسنانهم بفرشاة طويلة، يمشطون شعورهم المدهونة وفق آخر صيحات المودة كالنساء العرائس، يبردون صدورهم بالايس كريم المثلج، يغازلون النساء تحت جنح الظلام، يستخدمون الهاتف النقال لقضاء أعمالهم، يلتهمون أقراص المهدئ السحري والفياكرا والفاليوم لتفادي نوبة ضجر او صداع او خديعة .. أولاده مثل خرزات مسبحته تفرطوا فرادا في المكعبات الرمادية والمدن الحجرية، التي اعتادت أن تغتال الأولاد في غواية لعبة الحرب، غادرتهم نار الصحراء الحامية دون رجعة، وأصبحوا ينامون نوما عميقا في صناديق الغرف المقفلة .

كان صقر الظفير يفكر بالنجاة من ثعلب المدينة (الثعلب سبع لفّات)، غواية الموت ليس إلا، وعليه قبل أن يكون هو الطعم القادم الذي ينصب له لاصطياده حين يستدل عليه الثعلب في احدى دوراته السبع .

لكل هذا طفق صقر الظفير راجعا الى الصحراء التي عاش فيها حياته الأولى، تاركا أولاده ،يعبثون في نغمات هواتفهم النقالة، ترك خلفه غير مبال بيته الحجري ومرحاضه الأسمنتي .. باصقا على لعنة المدن الحديثة ومكعباتها الحجرية وشبح ثعالبها .

إذ جلس باكرا كعادته وضع الخرج في العِدل .. بعض خبز اسمر وتمر وبصل ، تحزّم بحِزام من ذيل بعيره الاجرد، واعتمر بعقاله المرعزي ويشماغه الأحمر، ثم لف عباءته على وسطه واضعا قربة الماء في الدحو جنب سرج حصانه الحميدي.. ضاربا بكعبي قدميه بطن حصانه المرمد الحميدي .. واضعا شاهينه دليلا على متنه مثل تاج أعادته الطبيعة الى قمته، علامة لخلود العينين الصقراويتين وهما ترقبان تحولات الصحارى من حفر الباطن الى تل اللحم ثم العودة الى درة صحراء الجنوب بصيّة الفتاة البدوية التي يستحي منها نجم الدلالة .. ابتعد عن طريق آخر سيطرة تزعجه في سيل الأسئلة– من أين قادم.. أين ذاهب؟– منطلقا الى سمائه وصحرائه الأولى، ثم يلتفت الى الخلف مودعا المدينة الحجرية الحرباء ببصقة من فم ادرد .. هناك حيث الخيمة الوبرية بعمادها المقوسة على كوانين النار الذهبية ووحشة تماثل وحشة نبي الله يونس في بطن الحوت.. وذرات الرمل تعصف في الفناء دون وجل لتدخل كل جحور اعتادت على حبيبات الرمل الناعمة.. ليس سوى اللون الأصفر تبقّعه هنا أو هناك أخضر شجيرات الصبار والحمض، خجلة للونها المستثنى في ذلك التيه الذي زرعت مدياته العمي في براز الحربين الأخيرتين وسخطها على جحور حيوات آمنة، بل لم تعد كذلك.. الظفير سر التكوين في هذا الفناء يموت كما يشتهي أن يموت.. ميتة يختارها لنفسه.. ميتة الصقور حين تهوي من عليائها نحو فلاة خالية من خرائب العابثين في الأرض البكر.

كان الجنرال نورمان شوارسكوف يسمع حداء صقر الظفير، بعد أن هدأت نيرانهم وأضواؤهم،أشعل الظفير ناره غير آبه بالحشود الراطنة، يشعل سجائر اللف واحدة تلو أخرى ويشرب القهوة المرة، لا أنيس هنا سوى بضعة حيوانات ناحلة أتعبها البحث عن زاد يكفي للعيش دون تضَور، ونار مسجرة تتناغم مع أباريق القهوة والشاي وكلب كتوم، ترجّل الجنرال شوارسكوف من ناقلة الأشخاص المدرّعة، وقد أسره منظر هذا الرجل الوحيد في صحراء حفر الباطن، أومأ لجنود حمايته بالابتعاد قليلا ليتعرف بنفسه على كنه هذا الرجل .

أثار الجنرال مجموعة أسئلة متلاحقة عبر مترجمه الى صقر الظفير، كان الرجل غير مبالٍ بالأسئلة، إلا انه قدم له الفناجين المتلاحقة من قهوة بطعم حنظلة مرة، وهام لأكثر من مرة على كلبه الذي ما انفك يسعل في النباح المتواصل والظفير يشاغله كل مرة بكلمات مدغمة (هييوو) او بحجر لإسكاته من سعال كالنياح.

تراجع في نهاية الأمر الجنرال شوارسكوف بعد أن أتعبه الصمت الصحراوي للظفير، ومترجمه يعتذر كثيرا عن ترجمة أبيات الشعر من الحداء .

لم تعد الكلاب البلق تنام في ظل خيمة صقر الظفير.. ولم تعد ترافق القطيع في رعيه الصباحي ولم يعجبها حداء عوّاد المبحوح الذي ادخل نغمة الموبايل الحائية في جهازه الجديد مشيرا بذلك الى ضجر الصحراء من كينونتها الأولى، وهي تخرب في أبراج شتى قد نبتت على رباياها ، هي بذلك تعد نذير شؤم لنكوص فحوى أراجيز الحداء في ليل لم تعد تطرزه نباح الكلاب السلوقية، ولا الذئاب تغامر في مهاجمة القطيع، وهي المهادنة الأسطورة بين اختلاف الرموز الأولى في تآخي القطيع مع الذئاب، استراحة الكلاب من التوثب المستمر.. اختلال المعاني الغائمة لكينونة تتهادى من دون هدف في تيه اخرق قد التهمته الحروب وموت افطره والكمأ في رحم الرمال خجلا متواريا تحت ألغام سني الحرب.. هناك عينا عواد الحزينتين يرقبهما الظفير وهو منكب على أحزانه الصحراوية.. لم يغسلها بعد المطر الصحراوي المرتقب ..

شاعرية العلم

الحرب المقدّسة: ماك ضد دوس

جمال جمعة

عرف عن الروائي، الباحث، الفيلسوف، والسيموطيقي الإيطالي أومبرتو إيكو ولعه بالتقنيات الرقمية الحديثة، وغالباً ما كان (ولا يزال) يستخدم أثناء المقابلات الصحفية معه عدّاداً رقمياً لإحصاء الكلمات والحروف وتكراراتها عنده أثناء قيامه بالحديث، وهو أسوة بسلفه العظيم ليوناردو دافينشي يشكل استمراراً لجيل المبدعين الايطاليين ذوي المواهب المتعدّدة الذين يمزجون الفلسفة والفن بالتكنلوجيا.

ولد أومبرتو إيكو في مدينة ألساندريا بإقليم بيدمونتي شمال إيطاليا عام ١٩٣٢، وكان أبوه جوليو محاسباً قبل أن ينخرط جندياً في الحرب العالمية الثانية لتنتقل أمه جوفانا معه الى قرية صغيرة تقع على الجانب الجبلي من الإقليم.

أخذ إسم عائلة إيكو Eco من الحروف اللاتينية الأولى لجملة (ex coelis oblatus)، ومعناها "هبة السماء"، وهو الاسم الذي منح لجده الذي كان لقيطاً، من قبل مكتب المدينة. حاول أبوه، الذي كان إبناً لعائلة فيها ثلاثة عشر إبناً آخرين، دفعه لأن يصبح محامياً، غير أنه انتسب إلى جامعة تورينو لدراسة فلسفة القرون الوسطى والأدب. كتب أطروحته حول توما الأكويني، وحصل على دكتوراه في الفلسفة في ١٩٥٤، وخلال هذا الوقت، هجر إيكو الكنيسة الكاثوليكية.

يمارس إيكو، إضافة الى نشاطه الروائي، إلقاء المحاضرات الجامعية وكتابة البحوث في الفلسفة وعلم الدلالات، كما أن لديه عموداً ثابتاً في الصفحة الأخيرة لصحيفة Espresso الاسبوعية، وقد أرتأيت هنا ترجمة المقال الطريف الذي يتحدث فيه عن صراع الحواسيب الرقمي بنبرة لاهوتيّة.

ثمّة حقيقة تفيد بأن *العالم* منقسم بين مستعملي حاسوب ماكنتوش (*Mac*) وحاسوب مايكروسوفت *المتوافق مع نظام* دوس (*DOS*). شخصياً أؤمن بالفكرة التي تقول بأن *الماكنتوش* كاثوليكي، أما *الدوس* فبروتستانتي. في *الحقيقة*، *الماكنتوش معاد* للإصلاح ومتأثر *بالنظام التعليمي* لليسوعيين. إنه مرح، ودود وتوفيقي؛ يخبر *المخلصين* كيف ينبغي لهم أن يمضَوا خطوة فخطوة للوصول . إن لم يكن الى مملكة السماء . فإلى اللحظة التي تكون فيها وثيقتهم مطبوعة. إنه نظام تلقيني: روح الوحي تتعامل معك عبر الصيغ المبسطة والأيقونات الفاخرة. كل شخص له الحق بالخلاص. أما الدوس فبروتستانتي، أو حتى كالفيني. يسمح بالتفسير الحرّ للكتاب المُقدّس، يقتضي قرارات شخصية صعبة، يفرض تأويلات حاذقة على المستعمل، ولا يستحسن الفكرة التي تقول بأن ليس بإمكان الكلِ نيل الخلاصَ. لجعل النظام يعمل تحتاج لتأويل البرنامج بنفسك: بعيداً عن عربدة المجتمع الباروكي، المستعمل منغلق على نفسه في عزلة عذابه الداخلي الشخصي.

قد تعترض عليّ أنه من خلال العبور إلى ويندوز، فإن عالم دوس يصير أكثر شبهاً بتسامح مناهضة الإصلاح الماكنتوشي. هذا صحيح: فنظام ويندوز يمثل إنشقاقاً على الطراز الإنجليكاني، طقوس كبيرة في الكاتدرائية، إلا أن هناك دائماً إمكانية العودة إلى دوس لتغيير الأشياء طبقاً لقرارات غريبة: حين تهبط إليه، يمكنك أن تقرر مصير النساء والمثليين إذا شئت.

طبيعي، فإن كاثوليكية أو بروتستانتية النظامين لا علاقة لهما بالمواقع الثقافية والدينية لمستعمليهما. ربما يتساءل أحدهم، بمرور الوقت، عما إذا كان استعمال نظام معين دون غيره يقود إلى تغييرات داخلية عميقة؟ هل يمكنك أن تستعمل دوس وتكون واحداً من أنصار الفاندا؟ وأكثر من ذلك: هل تكتب «سيلينا» مستعملة برنامج «وورد»، «وورد بريفكت» أم «وورد ستار»؟ هل كان ديكارت يبرمج في نظام «باسكال»؟

وشيفرة الجهاز، تلك التي تكمن تحت وتقرر مصير كلا النظامين (أو البيئتين إن أحببت)؟ أوه، إن ذلك ينتمي إلى العهد القديم، وهو تلمودي وقبالي اللوبي اليهودي، كما هو معهود.

أما الدوس فبروتستانتي، أو حتى كالفيني. يسمح بالتفسير الحرّ للكتاب المقدّس، يقتضي قرارات شخصية صعبة، يفرض تأويلات حاذقة على المُستعمِل، ولا يستحسن الفكرة التي تقول بأن ليس بإمكان الكلّ نيل الخلاص. لجعل النظام يعمل تحتاج لتأويل البرنامج بنفسك: بعيداً عن عربدة المجتمع الباروكي، المستعمل منغلق على نفسه في عزلة عذابه الداخلي الشخصي. قد تعترض عليّ أنه من خلال العبور إلى ويندوز، فإن عالم دوس يصير أكثر شبهاً بتسامح مناهضة الإصلاح الماكنتوشي. هذا صحيح: فنظام ويندوز يمثل إنشقاقاً على الطراز الإنجليكاني، طقوس كبيرة في الكاتدرائية، إلا أن هناك دائماً إمكانية العودة إلى دوس لتغيير الأشياء طبقاً لقرارات غريبة: حين تهبط إليه، يمكنك أن تقرر مصير النساء والمثليين إذا شئت.

صاحب رواية عزازيل يفوز بجائزة البوكر العربية

يوسف زيدان

المدى/ وكالات

فاز الكاتب المصري يوسف زيدان يوم الاثنين بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر العربية) عن رواية (عزازيل) التي حققت أفضل المبيعات في الفترة الأخيرة وأغضبت الكنيسة القبطية المصرية.

وأعلن اسم الفائز بالجائزة في دورتها الثانية هذا العام في احتفال بأبو ظبي عشية افتتاح معرض أبو ظبي الدولي للكتاب.

وتنظم الجائزة بالاشتراك بين مؤسسة خيرية بدولة الإمارات العربية ومؤسسة جائزة بوكر البريطانية. وذهبت الجائزة في دورتها الأولى العام الماضي الى رواية (واحة الغروب) للروائي المصري بهاء طاهر.

وأعلن في العاشر من ديسمبر كانون الأول الماضي في العاصمة البريطانية لندن عن وصول ست روايات الى القائمة القصيرة للجائزة وهي (جوع) للمصري محمد البساطي وأربع روايات من أربع دول هي (روائح ماري كلير) للتونسي الحبيب السالمي و(الحفيدة الامريكية) للعراقية انعام كجه جي و(زمن الخيول البيضاء) للفلسطيني إبراهيم نصر الله و(المترجم الخائن) للسوري فواز حداد، إضافة الى رواية زيدان (عزازيل) التي تحمل أحد أسماء الشيطان.

ويحصل كل من المؤلفين الستة على عشرة الاف دولار. أما زيدان فيحصل على ٥٠ ألف دولار تمنح لروايته الفائزة التي ستترجم تلقائيا الى اللغة الانجليزية كما تنص لوائح الجائزة.

وتدور أحداث (عزازيل) في القرن الخامس الميلادي في صعيد مصر ومدينة الاسكندرية المصرية الساحلية وشمال سوريا من خلال الراهب هيبا الذي يعاصر أحداثا توصف بالدموية في تاريخ الكنيسة المصرية.

وقد يكون اختيار زيدان مثيرا للجدل في وطنه حيث قالت الكنيسة القبطية المصرية إن المؤلف عمد الى تدمير مبدأ مسيحي اصيل واتهمته بالتدخل في الشؤون المسيحية الداخلية.

لكن زيدان قال لرويترز في العام الماضي إن مشايخ الكنيسة غضبوا لانه تحدى سلطتهم باعتبارهم ورثة مرقص الرسول وقولهم إن التاريخ المصري بين نهاية الوثنية وقدوم الإسلام تاريخهم.

وقال إن الكنيسة القبطية المصرية تصورت لسنوات ان القرون التي سبقت قدوم الإسلام تاريخ خاص بالكنيسة القبطية وانه لا يستطيع قبول ذلك وانه لا يرى معنى او منطقا فيه.

وقال زيدان لرويترز في اتصال هاتفي بعد فوزه بالجائزة إن التاريخ ملك لكل باحث أو أديب «ولا تملك مؤسسة دينية أن تصادر حق إعادة النظر في أحداث قديمة لا تسيء بالضرورة الى الحاضر.»

وأضاف أنه تلقى قبل أيام عروضا لترجمتها الى لغات منها الايطالية متوقعا أن تجد (عزازيل) وهي أحد أسماء الشيطان من الرواج أكثر مما حظيت به في لغتها الأصلية.

أمـــي تـبـكـي فـي حـلـبـجـة

محمود النمر

(بطل التحرير القومي) الذي أول ما قام به قتل رفاقه ومن ثم اعتقال واعدام كل من يخالف افكاره الوحشية، فامتدت براثنه السرطانية الى كل ما هو شريف ونقي ومناضل ومبدع، فقام بالاعتداء على ايران وبعدها غزو الشعب الآمن في دولة الكويت، الجرائم كثيرة لا تعد ولا تحصى ويندى لها تاريخ البشرية حتى ان هتلر لم يقم بما قام به الصنم المقبور، ولكن الذي يحفزني على الكتابة والبكاء ان أمي كلما تسمع باسم (حلبجة) تبكي وتقول ليتني ازورها، وقد ماتت ولم تزرها.

أليس من حقكم ان تسألوا لماذا؟

في عام ١٩٩١هرب أخي (علي) من نظام الفاشست الدموي الى كردستان ليلتحق مع الثوار(البيشمركة) ابن الاهوار والقصب والبردي ابن مملكة الماء الذي لم يعتل سوى صهوة (المشحوف) ولم يمسك سوى (المردي) ليندفع عبر نياسم الممرات المائية الضيقة، أخي الذي عشق الفكر التقدمي وكان يغني (هلبت مات جيفارا وهلبت هوشي منه انكطعت اخباره) أخي الذي تعلم الابجديات كلها وعلمني ومضى الى كردستان، وهو يحلم بغد افضل ،منذ ذلك التاريخ لم اره ولم يعرف اهلي بهجرته إلاّ انا، وكانت تلك هي اللحظة الاخيرة ،لم يترك لي سوى الوجع والشرف الرفيع ودموع أمي على كارثة حلبجة.

كنت سألتها كيف تعرفين انه استشهد في حلبجة؟

كانت ترد بدموعها الساخنة (كلب الوالدة يعلم) والعجيب في الامر انها كانت تنهض في منتصف الليل وتبكي وتدعو ربها ان يموت (اولاد صدام امام عينيه) ولما تحقق لها ذلك الحلم اخذت تبكي وتضحك ونزعت (عصابتها) وقالت أريد اصبغ شعري اسود واكحل عيوني والبس ثوب احمر بالرغم من انها كانت على فراش الموت، وحين اعدم صدام ،قالت الآن اريد ان اموت حتى التقي (علي) وانا فرحانه.

العجيب في الامر ان أمي كانت تسأل دائما ،هل ان حلبجة فيها مقبرة كبيرة تتسع لهذا العدد الهائل من الشهداء؟

وهل لهم اسماء ؟ويعرفون من هذا وذاك ومن اين والى اي منطقة ينتمي؟ وهل سنزورها يوما حتى نرى قبر علي!!

ماتت أمي ولم تر قبر علي ولكن تحقق حلمها الذي كانت بانتظاره!!

في عام ١٩٨٨عندما اقدم طاغية العصر واعوانه على ابشع جريمة قام بها بقتل الالآف من الابرياء في مدينة حلبجة بالكيمياوي ،كنا نسمع ذلك من خلال الاذاعات التي كانت تفضح النظام وترصد كل تحركاته ومؤامراته وخططه التي تستهدف الانسانية جمعاء، وكان أصحاب الأبواق المأجورة في الداخل والخارج يحاولون ان يتستروا على تلك الجرائم، ويمسحوا على اكتاف الطاغية ويبشروا (بنبوءاته الخرفة) التي تدلل على ضحالة فكر

وفاة الكاتب والمفكر المغربي عبد الكبير الخطيبي

المدى/ وكالات

توفي يوم الاثنين في الرباط الكاتب والمفكر المغربي عبد الكبير الخطيبي عن عمر يناهز ٧١ عاماً، بعد صراع مع مرض ألزمه الفراش في المستشفى منذ بداية شباط الماضي.

ونقل عن زوجة الراحل أن الخطيبي –وهو أحد الوجوه البارزة في المشهد الثقافي في بلاده وأحد أهم رموز الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية– التحق بالرفيق الأعلى صباح الاثنين.

وكان الخطيبي روائياً وشاعراً وعالم اجتماع، وترجمت أعماله –المؤلفة أساسا باللغة الفرنسية والتي تتجاوز ٢٥ مؤلفا– إلى اللغات العربية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية والألمانية واليابانية.

وتتميز مجالات إبداع الراحل –الذي ولد عام ١٩٣٨ بمدينة الجديدة وسط المغرب– بالتعدد والتنوع، حيث كتب في الشعر والرواية والمسرح، كما ألف دراسات فكرية ونقدية، ودرس بجامعة السوربون بفرنسا، التي حصل منها على الدكتوراه في علم الاجتماع عام ١٩٦٩.

وقد فاز الخطيبي بعدة جوائز منها جائزة الأدب في الدورة الثانية لمهرجان «لازيو بين أوروبا والبحر الأبيض المتوسط» في إيطاليا، عن مجمل أعماله الأدبية.

كما حصل مؤخرًا على جائزة «الربيع الكبرى» التي تمنحها جمعية «أهل الأدب»، وهي جمعية ثقافية فرنسية عريقة أسسها عام ١٨٣٨ بعض أشهر الأدباء الكلاسيكيين بفرنسا، أمثال الروائيين أونوريه دو بالزاك وأليكسندر دوما والشاعر فيكتور هوغو.

ويعد الخطيبي أول عربي يتوج بهذه الجائزة، وقد منحت له عن مجمل أعماله الشعرية التي صدر بعضها مؤخراً في ثلاثة مجلدات.

ومن بين أعماله «الذاكرة الموشومة» (١٩٧١) و«فن الخط العربي» (١٩٧٦) و«الرواية المغاربية» و«المغرب المتعدد» (١٩٩٣) و«صيف بستوكهولم» (١٩٩٠) و«صور الأجنبي في الأدب الفرنسي» (١٩٨٧) و«كتاب الدم» (١٩٧٩).

عبد الكبير الخطيبي